عدد من الفلاحين لمجرد حيازتهم على أسلحة ، وان استعراضا سريعا لجداول اسماء اولئك الذين ارسلوا الى السجن او الى المشنقة ترينا ان الغالبية الساحقة كانوا من فقراء الفلاحين ، وعلى سبيل المثال فقد « حكم على جميع سكان قرية عين كارم ، وعددهم ثلاثة آلاف ، ان يسيروا عشرة كيلومترات يوميا ليثبتوا وجودهم لدى مركز البوليس »(٩١). وفي تلك الفترة كانت بريطانيا قد أصدرت احكامها بالسجن ، مدبا طويلة على حوالي ٢٠٠٠ عربي ، وهدمت أكثر من ٥ الاف بيت ، واعدم شنقا في سجن عكا ١٤٨ شخصا ، وبلغ عدد المعتقلين لمدد مختلفة اكثر من خمسين الفا(٩٢).

كانت بريطانيا ، التي عدلت في تشرين الثاني ١٩٣٨ من التقسيم الذي اوصى به تقرير لجنة بيل ، آخذة في محاولة كسب الوقت ، وهنا يجيء مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن في شباط ١٩٣٩ نموذجا لتلك الصفقة المشبوهة التي كانت تجري طوال الوقت بصمت بين قيادة الثورة الفلسطينية وبين البريطانيين الذين كانوا يعرفون يقينا استعداد تلك القيادة للمساومة في أية لحظة ، وبالطبع لم يذهب جمال الحسيني وحده الى المائدةالمستديرة في لندن ، بل ذهب معه ممثلو الدول العربية « المستقلة » انذاك ، وهكذا فقد قدر للانظمة العربية التي كانت خاضعة للاستعمار ان تملي ارادتها مرة ثانية في اقل من عامين على عرب فلسطين ، بوساطة ذلك الالتقاء (الكامن والمحتمل) في مصالح جميع الذين كانوا جالسين حول تلك المائدة المستديرة في لندن .

ان الكلمات التي القاها جمال الحسيني ، والامير فيصل (ممثل السعودية) والامير حسين (ممثل اليمن) وعلي ماهر (ممثل مصر) ونوري السعيد (ممثل العراق) — الذي اعلن انه يتكلم «كصديق حميم لبريطانيا العظمى والذي لا يرغب بقول كلمة واحدة تجرح شعور أي بريطاني لانه يشعر بصداقته نحوهم من أعماق قلبه » (!)((٩٣). ان تلك الكلمات لم تؤكد الا نجاح خطة بريطانيا التي احتفظت بها بدقة طوال عقد من الزمن ازاء قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية : فهي لم تفرط بها ، وابقتها دائما على طرف جسر مفتوح، وكان البريطانيون واثقين من أن العراق والسعودية « مستعدتان لاستخدام نفوذهما لدى زعماء فلسطين لوضع نهاية للثورة وتهيئة أسباب النجاح للمؤتمر » .ومع ذلك فان الثورة في فلسطين لم تكن قد هدأت (حصيلة شباط ١٩٣٩ كانت ، رسميا : ١١٠ قتلى و١١٢ جريحا في ١٢ معركة ضد البريطانيين . تفتيش ٣٩ قرية — منع التجول في ٣ مدن ٣ مرات. اعتقال حوالي ٢٠٠ قروي — حرائق في ٥ دوائر حكومية — ، اعدام ١٠ عرب بتهمة حمل سلاح . هجمات على ١٠ مستعمرات يهودية . نسف أنابيب النفط مرة ، تفجير قطار حيفا واللد . انشاء نقطة تفتيش داخل المسجد الاقصى) . وان الارقام البريطانية التي يقدمها وزير المستعمرات البريطاني تشير الى أنه « بين ٢٠ كانون الاول و٢٠ شباط (اي في شهرين) وقع ٣٤٨ حادث اغتيال و١٤٠ حادث تخريب و١٩٠ حادث خطف و٢٣ سرقة وانفجار ٩ الغام و٣٢ قنبلة وخسر الجنود ١٨ قتيلا و٣٩ جريحا وخسر الاهالي ٨٣ قتيلا و١٢٤ جريحا ، ولا تشمل هذه الارقام ما اصاب الثوار .. «(٩٤).

وقد استمر الامر على هذا المنوال حتى الشهر الذي نشبت فيه الحرب العالمية الثانية (ايلول ١٩٣٩) تكبد خلالها الفلسطينيون العرب خسائر لم يكن من الممكن تعويضها : كانت القيادة ، بالاضافة لكل روح المساومة التي تعيشها ، موجودة خارج البلاد ، أما القيادات المحلية الناشئة فقد أخذت تسقط واحدة وراء الاخرى في ميادين القتال، وكان العسف البريطاني قد وصل الى ذروته ، وبدأ العنف الصهيوني يصعد باضطراد منذ اواسط ١٩٣٧ ، ولا شك ان التركيز البريطاني والاصرار الذي رافقه في الساحة الفلسطينية قد انهك الثوار الذين باتوا ، مع تراوح قياداتهم ، غير عارفين على وجه الدقة من كانوا يحاربون ولماذا ؟ فتارة كانت القيادة تتحدث عن الصداقة التقليدية والمصالح المشتركة ، مع بريطانيا ، وتارة تصل الى حد قبول منح ادارة ذاتية لليهود في المناطق التي يتواجدون فيها ، ولا شك ان تذبذب القيادة ورخاوتها وعدم قدرتها على تحديد هدف واضح للقتال قد أسهم في انهاك الثورة . ولكن ذلك يجب الا يدفعنا الى اهمال العامل الموضوعي . فقد استخدم البريطانيون فرقتين عسكريتين وعددا من اسراب الطائرات والبوليس وقوة حرس الحدود الاردني بالاضافة للقوة اليهودية المساعدة المؤلفة من ٦ آلاف ، ورموا ذلك كله للهيمنة على الموقف،